بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين، حمداً يليق به سبحانه، وشكراً له على ما وهب وأسدى، شكراً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، حمداً له وشكراً على نعمة الإيمان والقرآن، فبهما كنا خير أمة أُخرجت للناس، وبهما صرنا نقود الأمم، ونعتلي قمم المجد والسؤدد، ومهما ابتغينا العزة بغيرهما أذلنا الله، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن النظر في كتاب الله الكريم، والإقبالَ عليه من أفضل القُرُب إلى الله – سبحانه وتعالى – وأعظمها، كما أن ذلك من تدبره، وإمعان النظر فيه، وتلكم غاية عظمى، ومنزلة من الدين رفيعة، بل هي الغاية من نزول القرآن الكريم، كما قال – سبحانه –: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، فقد ندب ـ سبحانه ـ أولى الألباب إلى تدبر آيات الكتاب العزيز؛ للوقوف على أسراره، والغوص في معانيه، والنظر في مقاصده؛ بغية التذكر والاتعاظ، وتلك حِكم جليلة، ومقاصد عظيمة لا يعيها إلا أولو الألباب.

وليس لفرائد القرآن ودُرَره غاية تقف عندها، ولا غاية تنتهي إليها؛ إذ لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، فمذ كانوا وهم ينهلون من معينه الرقراق، ينظرون فيه نظرةَ تدبر واستبصار؛ لاستخراج الدُرر الكامنة في أعماقه لما حوى بين طياته من النكت البيانية، والأسرار البلاغية.

ومن هنا جاءت الدراسة إسهاماً في خدمة القرآن الكريم، وسعياً لإظهار شيء من فصاحته وبلاغته.

وقد حصرتُ في هذه الدراسة آيات التحدي في القرآن الكريم، و هذه الآيات ـ كما هي مرتبة في المصحف ـ :

[١] قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٣].

[٢] قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [يونس : ٣٨].

[٣] قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [هود : ١٣].

[٤] قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٨].

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ [الطور : ٣٣ ـ ٣٤].

وستقوم هذه الدراسة على التأمل والتدبر، والنظرِ الثاقب الدقيق في إيحاء هذه الآيات ودلالاتها، كما أني لن أغفل الرجوع إلى كتب أهل العلم، والنظر فيما قالوه وقرروه في هذه الآيات، فسأغرف من معينهم، وسأصدر عن رأيهم.

كما ذكرتُ في هذا الكتاب مراتبَ التحدي بهذه الآيات، مبيناً ما تمَّ فيها من اختلاف في نظمها، مع الإشارة ـ كذلك ـ إلى ما وقع فيها من اختلاف في خاتمة كل آية.

كما صدَّرتُ الكتاب بحديث موجز عن بلاغة القرآن إعجازه ـ وهو من الأهمية بمكان ـ جعلته منطلقاً لهذه الدراسة، كما أن فيه دلالات مهمة، وإضاءات كاشفة لآيات التحدي في القرآن الكريم.

ثم ختمتُ الكتاب بآية من آيات التحدي بالتحليل البلاغي؛ للغوص في خصائصها التركيبية، والنظر في إحكامها، وحسن نظمها، ولهذا الأمر أهميته في إظهار التحدي، وفي الحُكْم على العرب بالعجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن.

وبعد: فهذا ما سأسعى إليه في هذا الكتاب، فإن أصبتُ فمن الله، كما أن ذلك أملي ومبتغاي، وإن قصَّرتُ فمن نفسي والشيطان، والله أسأل أن أكون قد وُفقتُ في هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، والحمد رب العالمين.

وكتبه

عبدالعزيز بن صالح العمَّار

الرياض

ص.ب: ١٢٠٧٤٧

الرمز البريدي: ١١٦٨٩

aa٢٠٠٨ss@gmail.com

بلاغة القرآن الكريم وإعجازه

أنزل الله القرآن العظيم، فبهر الألباب، وسلب العقول والأبصار، لِما فيه من حق وجلال، فآمنت به بعض النفوس، وعاند بعضها شقاءً وضلالاً، إلاَّ أن كل واحد من هذين الفريقين وقف مبهوراً من بيان القرآن وعظمته، واعترف بروعة بيانه، وعظمة إعجازه.

وهذا الأثر الذي يتركه القرآن في نفوس سامعيه، ذكر الله طبيعته، فقال يخاطب الناس جميعاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، فهو إذن موعظة، والموعظة من شأنها أنها إذا استقرت في قلب سليم فإنها تهزه هزاً عنيفاً، لا تدع في النفس شيئاً مما لا يرضي الله ـ تعالى ـ إلاَّ اقتلعته من جذوره.

وليس في هذا الكلام عجب، فكم من إنسان معرض عن ربه، بعيد عنه كل البعد ما إن يسمع شيئاً من كلام الله، وتلامس شغاف قلبه حتى تراه يهتز من الأعماق متأثراً بعظمة هذا الكلام، مستجيباً لهاتيك الموعظة البليغة.

وقد عبَّر عن هذا المشهد المؤثر جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ حينما سمع آيات من القرآن من سورة الطور من فيّ رسول الله ﷺ فخفق فؤاده، وطار لبُّه، وقال: «كاد قلبي أن يطير»(١).

وهذا مصداق لقوله ـ عز وجل ـ ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١]،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، سورة الطور: ٣ / ٢٩٧.

فالجبل على عظمته وشموخه يخشع ويتصدع، فما بالك بقلب ابن آدم، تلك المضغة الطرية الصغيرة؟!

إذن فهذه هي روعة القرآن التي أخذت بلبِّ ذلك العصر الأول كله مؤمنهم وكافرهم، فأما المؤمنون فهو أمر ظاهر للعيان، والواقع شاهد عليه، وأما المشركون الجاحدون فأذكر شاهداً واحداً من شواهد كثيرة، يدل على إعجابهم وانبهارهم بالقرآن العظيم، وذلك: ماكان من أمر رؤساء كفار قريش أبي جهل، وأبي سفيان، والأخنس بن شريق فقد كان كل واحد منهم يتسلل ليلاً فيصغي إلى رسول الله ﷺ وهو يتلو القرآن، يسمعه، ويلذُّ به، ويُطرب سمعه، حتى إذا قفل كل واحد منهم، وجمعهم الطريق، تلاوموا على هذا العمل أشد اللوم، وتعاهدوا ألاّ يعودوا، ثم هم بعد يعودون إليه ثلاث ليال متتابعة(١).

فنرى في هذه القصة أن كفرهم لم يقف حائلاً بينهم وبين الاستماع إلى القرآن الكريم، والميل إليه، لِما يجدون في نفوسهم من النشوة والانجذاب إليه وهو يُلقى على مسامعهم، وصدق الله ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل : ١٤]، بل ولأمرٍ ما قال هؤلاء الرؤساء لأتباعهم ﴿... لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ...﴾ [فصلت:٢٦]؛ وذلك أن هذه المقولة تدل بجلاء «على الذعر الذي كان يضطرب في نفوسهم من تأثير هذا القرآن فيهم، وفي أتباعهم، وهم يرون هؤلاء الأتباع يُسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين، والسورة والسورتين، يتلوها محمد أو أحد أتباعه، فتنقاد إليهم النفوس، وتهوى إليهم الأفئدة، ويُهرع إليهم المتقون،

---

(١) يُنظر القصة كاملة في السيرة النبوية: ١/ ٣٢٨، لأبي محمد بن عبدالملك بن هشام.

ولم يقل رؤساء قريش لأتباعهم وأشياعهم هذه المقولة وهم في نجوة من سحر القرآن، فلولا أنهم أحسوا في أعماقهم هزة روَّعتهم ما أمروا أتباعهم هذا الأمر، وما أشاعوا في قولهم هذا التحذير الذي هو أدل من كل قول على عمق التأثير»(١)، ومن هنا يتبين أن المشركين لم يجدوا حلاً لوقف أثر القرآن الكريم في نفوس الناس إلاَّ بهذا العمل المشين، وما هي إلاَّ حيلة العاجز المغلوب على أمره(٢).

وما هذا الانبهار، وذلك الإعجاب الذي شدَّ سامعيه إليه إلاَّ شيء كامن فيه، وهو ذلك الأمر الذي أعجبهم، وهزَّ أريحيتهم، وفعل فعله في كوامن نفوسهم، حتى عدَّه الخطابي وجهاً من أوجه إعجاز القرآن الكريم، حين قال: «لقد قلتُ في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلاَّ الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا

---

(١) التصوير الفني في القرآن: ١٤، سيد قطب، .

(٢) وهذه المؤامرة - كما يذكر الطاهر بن عاشور -: «من شأن دعاة الباطل والضلال أن يكمموا أفواه الناطقين بالحق والحجة بما يستطيعون من تخويف وترهيب وترغيب، فهم لا يدعون الناس يتجادلون بالحجة، ويتراجعون بالأدلة؛ لأنهم يوقنون أن حجة خصومهم أنهض، فهم يسترونها ويدافعونها لا بمثلها، ولكن بأساليب من البهتان والتضليل، فإذا أعيتهم الحيل، ورأوا بوارق الحق تخفق خشوا أن يعمَّ نورها الناس الذين فيهم بقية من خير ورشد، عدلوا إلى لغو الكلام، ونفخوا في أبواق اللغو والجعجعة؛ لعلهم يغلبون بذلك على حجج الحق، ويغمرون القول الصالح باللغو، وكذلك شأن هؤلاء» (التحرير والتنوير: ٢٤ / ٢٧٧، للشيخ محمد بن طاهر بن عاشور)، وإن أعيتهم هذه الحيلة - أيضاً - ولم يجدوا نفعها لجأوا إلى البغي والظلم والقتل؛ بغية أن يوقفوا سير الدعوة ودعاتها، وما علموا أن الله غالب على أمره، وناصر دينه.

تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً أو منثوراً إذا قرع السمع خلُص إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفَرَق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج منه القلوب، يحول بين النفوس ومضمراتها، وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو لرسول الله ﷺ من رجال العرب وفُتْاكِها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً، وهو ذلك القرآن العظيم الذي لما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢]»(١).

ولكن بعد هذا الاتفاق على هذه الروعة، والإجماع على تلك العظمة، وعلى ذلك السرِّ المؤثر الذي يجدون إيقاعه يتردد في حنايا النفس وزواياها، بعد هذا كله يفترقون، فقال الكافرون: شعر وسحر، كما حكى الله عن واحد منهم، معبراً عن رأيهم جميعاً في قوله: ﴿فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤ ـ ٢٥]، وقال المؤمنون: كلام الله رب العالمين، آمنا به كل من عند ربنا، ومن ذلك الزمن مازال الناس على مفترق الطرق في سبب هذه الروعة، وفي بيان ذلك الإعجاز، وقد أشار الخطابي إلى هذا الاختلاف في

---

(١) بيان إعجاز القرآن: ٧١، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

سبب إعجاز القرآن، في قوله: «وقد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدروا عن رِيٍّ؛ وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته»⁽¹⁾ .

فهم من ذلك العهد القديم مختلفون، ولا يزالون مختلفين؛ إذ إن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا تُحدُّ وجوه إعجازه، لذا فقد طفق العلماء قديماً وحديثاً ينظرون في أسرار القرآن العظيم، وفي ذكر وجوه إعجازه، والإشارة إليها، والإشادة بها، فذكروا كثيراً من وجوه إعجاز القرآن العظيم⁽²⁾ .

ومع هذا فليس لأحد أن يقصر وجوه إعجاز القرآن الكريم على ماذكره السابقون، ولنعلم علماً يقينياً أن القرآن وإعجازه لا يقف عند حدٍّ معين «فعلى الرغم من كثرة ما كُتب عن الإعجاز القرآني في القديم والحديث على السواء، فإنه ما يزال قطرة من بحر ما ينبغي أن يُكتب للكشف عن هذه

---

(١) بيان إعجاز القرآن : ٢١ .

(٢) للاستزادة في هذا ، وللوقوف على أبرز ما قيل في سبب إعجازه ، انظر: ثلاث رسائل في إعجار القرآن، دلائل الإعجاز، إعجاز القرآن للباقلاني، الطراز للعلوي، معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، إعجاز القرآن للرافعي، النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز، التصوير الفني في القرآن لسيد قطب، الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة بنت الشاطئ ، إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق للدكتور حفني محمد شرف، البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن للدكتور المحمدي عبدالعزيز الحناوي، الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره للدكتور عبدالغني محمد سعد بركة، مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم، وغيرها .

الجوانب التي لا تبلى على كثرة التردد، إذ كلما أمعن الباحثون النظر فيه، وأخلصوا النية له، وامتلكوا وسائل البحث الجاد من علم بالتراث، وفقه في اللغة، وبصر بالأساليب، وذوق أدبي مرهف، صقلته القراءة الواعية المتنوعة تكشف لهم عن عطاء سخي لا ينفد، ومعانٍ جديدة تُؤكد إعجازه»⁽¹⁾.

وسيبقى القرآن الكريم كتاباً مفتوحاً، ونبعاً فياضاً يفيض بالأسرار، والأمور العِظام، التي تشير إلى عظمة هذا الكتاب وإعجازه، وليس لأحد كائن من كان أن يُوصد الباب أمام الباحثين والدارسين، وليس لنا أبداً أن نرد من يقول في القرآن شيئاً محاولاً إظهار إعجازه، ولكننا نقول له: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]، وبهذا البرهان فلا بأس، ولا حرج، إذ إن القرآن كتاب للأجيال كلها، ولا بد لكل جيل أن ينهل منه، وأن يقول كلمته فيه.

---

(١) من بدائع النظم القرآني: ٦، د. السيد عبدالفتاح حجاب.

التحدي عادة مألوفة لدى العرب

مما هو معلوم - أو مما ينبغي أن يُعلم - أن الله - تعالى - حين تحدى العرب بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو ببعضه، فإنه قد جاء في ذلك على ما كان مشهوراً عندهم ومعلوماً فمن عادة القوم أن يتحدى بعضهم بعضاً في مقارضة الشعر، وتدبيج الخُطُب، فهذا عادتهم فيما بينهم ؛ ثقة منهم بملكتهم الأدبية، وما طُبعوا عليه من تدفق شاعريتهم، وذلاقة ألسنتهم(١)، لهذا فقد كان التحدي مع هؤلاء القوم ملتئماً مع الطريقة التي ألفوها، وساروا عليها، فجاءت آيات التحدي صريحة لهم، في هذا المجال في الإتيان بمثل القرآن الكريم، أو سورة منه لكنهم أحجموا عن الإقدام على مثل هذا العمل، ولم يقدموا عليه ؛ فقد أدركوا بلاغة القرآن العظيم وفصاحته، وأنهم لن يستطيعوا الإتيان بمثله، لو أرادوا ذلك، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

---

(١) انظر : التعبير الفني في القرآن : ١٤٧، د. بكري شيخ أمين .

مراتب التحدي ونزول آياتها

وقع التحدي لكفار قريش ولغيرهم للإتيان بمثل القرآن الكريم في سُوَر مختلفة، وفي مراتب متعددة بحسب المقامات، فهل ثمة من وشائج وروابط بين هذه السور المتعددة؟ أو أن كل سورة منها قائمة بذاتها؟ ومستقلة بنفسها؟ وإن كان ثمة رابط بينها فهل تدرّج القرآن معهم في هذا التحدي من القليل إلى الكثير؟ أو جاء التحدي عكس هذا الأمر؟ هذا ما سأحاول كشفه وذكره من خلال ذكر مراتب التحدي بهذه الآيات.

ذهب كثير من العلماء إلى أن القرآن تدرج معهم في هذا التحدي من الكثير إلى القليل، ومن الصعب إلى السهل، فتحداهم أولاً بأن يأتوا بمثل القرآن كله، فلما عجزوا، وظهر ضعفهم تحداهم بعشر سور، فلما عجزوا عن هذا - أيضاً - تحداهم بسورة واحدة من القرآن، وقد ذهب إلى هذا القول، وإلى هذا الترتيب كثير من العلماء قديماً وحديثاً (١)؛ وذلك أن هذا القول متفق مع العقل، ومتسق مع سُنَن التحدي بين الناس وجارٍ معه، وذلك أن التحدي بهذا الترتيب «كشأن من يريد تعجيز شخص أن يطالبه أولاً بأن يفعل أمثالاً مما يفعل هو، ثم إذا تبين عجزه، قال له: افعل مثلاً واحداً»(٢)، ولأن هذا القول - أيضاً -

---

(١) ومن هؤلاء:

الزركشي، انظر: البرهان: ٢ /١١٠، والرافعي، انظر: إعجاز القرآن: ١٦٩، و أحمد بدوي، انظر: من بلاغة القرآن: ٤٦، و د.بكري شيخ أمين، انظر: التعبير الفني في القرآن: ١٤٧، و د. عبدالغني سعد بركة، انظر: الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره: ١٠، ومناع القطان، انظر: مباحث في علوم القرآن: ٢٥٩، وغيرهم.

(٢) البحر المحيط: ٢٠٨/٥، لأبي حيان الأندلسي.

«كقول الرجل لغيره: هاتِ قوماً مثل قومي، هاتِ كنصفهم، هاتِ كربعهم، هاتِ كواحد منهم»⁽¹⁾.

إلاَّ أن هذا القول الذي قال به جمهرة من العلماء في القديم والحديث يقتضي ويتطلب أن تكون سورة (الإسراء) التي جاء التحدي فيها بالإتيان بمثل القرآن نزلت أولاً، ثم سورة (هود) التي جاء التحدي فيها بعشر سور، ثم سورة (يونس) التي جاء التحدي فيها بالإتيان بسورة واحدة، ثم (البقرة)، إلاَّ إننا حين ننظر في ترتيب نزول القرآن نجد أن أول ما نزل من هذه السور سورة (الإسراء)، ثم تبعها في النزول مباشرة سورة (يونس)، ثم أعقبها مباشرة سورة (هود) وهذه السور كلها مكية، ثم سورة (البقرة)، وكانت أول ما نزل بالمدينة⁽²⁾.

لذا فقد ذهب بعض العلماء إلى النظر في ترتيب هذه الآيات، وذلك من خلال ترتيب نزول سور هذه الآيات فيما بينها، وقد عقَّب الشيخ محمد رشيد رضا على الترتيب المتقدم بقوله: «وهذا ترتيب معقول لو ساعد عليه تاريخ النزول»⁽³⁾.

كما أشار بعض العلماء إلى عدم صحة هذا الترتيب، يقول البغوي ـ في تفسيره لآية التحدي التي وردت في سورة (هود) ـ: «فإن قيل: قد قال في سورة (يونس) ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾، وقد عجزوا عنه، فكيف قال: ﴿ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ ﴾ [هود: ١٣]؟! فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهماً فيعجز، فيقول: أعطني عشرة دراهم»⁽⁴⁾.

---

(١) الطراز: ٣ / ٣٧٠.

(٢) انظر: البرهان: ١/ ١٩٣، و: الإتقان: ١ / ٢٩.

(٣) تفسير المنار: ١ / ١٩٣، لرشيد رضا.

(٤) معالم التنزيل: ٢/ ٣٧٦، للبغوي.

كذلك اعترض الفخر الرازي - عند تفسيره لآية التحدي في سورة (هود) - على هذا الترتيب قائلاً: «واعلم أن التحدي بعشر سور لا بد وأن يكون سابقاً على التحدي بسورة واحدة، وهو مثل أن يقول الرجل لغيره: اكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب، فإذا ظهر عجزه عنه، قال: قد اقتصرتُ منها على سطر واحد مثله»(١)، وكلامه هذا يدل دلالة واضحة على أن التحدي بعشر سور يحتم ويستلزم أن يكون سابقاً على التحدي بسورة واحدة؛ لِمَا جرت عليه عادة الناس من أن يبدأ دائماً من الصعب ثم يُخفف إلى السهل شيئاً فشيئاً على حسب عجز المتحدى وضعفه(٢) .

ومن هنا يتبين تعارض هذا الرأي مع ترتيب نزول السور التي وردت فيها آيات التحدي، مما يجعل معه هذا القول مرفوضاً مردوداً، لذا فثمة مَن يرى أنه ليس ثمة رابط ولا ترتيب بين آيات التحدي في نزولها، إذ لم يثبت دليل في ترتيب هذه الآيات، يقول سيد قطب: «قال المفسرون القدامى: إن التحدي كان على الترتيب بالقرآن كله، ثم بعشر سور، ثم بسورة واحدة؛ ولكن هذا الترتيب ليس عليه دليل»(٣)، ومن هنا يتبين أن ليس ثمة من رابط بين هذه الآيات، وترتيب في نزولها «فكل تحد قائم بنفسه، فرد في موضعه، مناسب لسورته التي ذُكر فيها، متسق مع أحوال نزولها وملابساته»(٤)؛ وذلك أن

---

(١) التفسير الكبير: ١٧/١٩٥، للرازي .

(٢) انظر: آيات التحدي ودقائق في نظمها: ٣١٠ .

(٣) في ظلال القرآن: ٤/١٨٦١ .

(٤) آيات التحدي ودقائق في نظمها: ٣١٤ .

القرآن حين تحدى المشركين بهذه الآيات كان يواجه حال المشركين، وينقض شُبَهِهم حول القرآن، فكان مقدار التحدي حسب الحالة التي كانوا عليها، فتحداهم حيناً بالقرآن، وحيناً بعشر سور، وحيناً بسورة، وذلك كله مراعاة للحالة التي كانوا عليها وقت تنزل هذه الآيات⁽¹⁾ .

وهذا القول هو الذي أراه وأذهب إليه؛ وذلك أن القول بترتيب نزول آيات التحدي غير مستند على قول صحيح في نزول الآيات، بل إن نزول سور القرآن وترتيبها يخالف هذا القول وينقضه من أساسه، فقد تقدمت سورة (يونس) على سورة (هود) في النزول .

ومن هنا يتبين أن العلماء الذين قالوا بذلك القول كان اجتهاداً منهم؛ لكونه متفقاً مع الترتيب المعقول، ومتوافقاً - أيضاً - مع طبيعة التحدي، ونظام المعارضة والمغالبة الذي يبدأ من الصعب إلى السهل، ومن الشاق العسير إلى الهين اليسير .

وقد ذهب إلى هذا القول الأخير بعض العلماء، منهم الشيخ محمد عبده، فقد ذكر جازماً أن ليس ثمة من وشيجة ولا صلة تجمع بين آيات التحدي، وليس ثمة - كذلك - من ترتيب زمني يؤلف بينها، وينظمها في سلك واحد، يقول: «وإنني أجزم بعد التأمل في جميع آيات التحدي، وتاريخ نزول سورها أنها لم يكن مراعى بها الترتيب التاريخي في مخاطبة المشركين، كما زعم جمهور المفسرين، بل ذُكر كل منها بمناسبة سياق سورته»⁽²⁾.

---

(١) انظر: البيان في إعجاز القرآن: ٦٨، .

(٢) تفسير المنار: ١ / ١٩٤ .

كما ذهب إلى هذا القول وأيده كذلك سيد قطب، حيث قال: «إن التحدي كان يلاحظ حالة القائلين، وظروف القول دون ترتيب زمني؛ لأن الغرض هو التحدي في ذاته بالنسبة لأي شيء من هذا القرآن، كله أو بعضه أو سورة منه على السواء، إذ المعجز كان على النوع لا عن المقدار، وعندئذ يستوي الكل والبعض والسور، ولا يلزم الترتيب، إنما هو مقتضى الحالة التي يكون عليها المخاطبون، ونوع ما يقولون عن هذا القرآن في هذه الحالة»⁽¹⁾.

وإلى هذا القول ذهب د. أحمد هنداوي في حديثه عن آيات التحدي، فقد قال ـ بعد أن ذكر هذا القول ـ: «وهذا رأي وجيه جدير بالقبول والاستحسان»⁽٢⁾.

لذا ومن خلال ما تقدم من ذكر هذين القولين يتبين رجحان القول الثاني على ما تقدمه، فهو الذي توافق وتلاءم مع نزول آيات التحدي وترتيبها، وتجاوب مع حالة القوم الذين تحداهم وطلب منهم الإتيان بمثل القرآن الكريم، أو ببعض منه، فَصَوَّرتْ تلك الآيات ـ بهذا الترتيب ـ حالة القوم وقت تنزل الآيات، وبَيَّنتْ ما هم عليه من الكفر والتكذيب بما جاء في القرآن، وبمن جاء به.

---

(١) في ظلال القرآن: ٤/ ١٨٦١.

(٢) آيات التحدي ودقائق في نظمها: ٣١٨.

القدر المعجز من القرآن

تحدث العلماء كثيراً، واختلفوا حول القدر المعجز من القرآن، فسلكوا فيه مسالك شتى، وذكروا في ذلك أقوالاً متعددة، ومتباينة، فهل القدر المعجز في ذلك سور القرآن أو آياته؟ وهل هي السور الطوال دون القصار؟ أو القصار معاً؟ وما شأن الآيات في هذا التحدي؟ وهل القرآن كله معجز أو بعضه بقدر أقصر سورة منه؟ أسئلة كثيرة تدور كلها حول القدر المعجز من القرآن، ولكني سأضرب عن هذا كله صفحاً، وسأعرض عن ذكر دقائق هذه المسألة وتفصيلاتها؛ وذلك أنني مع من يرى بأن إعجاز القرآن في نوعه لا في كمه أومقداره⁽١⁾، ومن ثم فقد كان التحدي بهذا النوع المعجز من جنس القرآن العظيم، فإذا تبين هذا واتضح فإن القرآن يستوي كله أو بعضه في هذا التحدي؛ لأن كل شيء فيه معجز⁽٢⁾، وفي ذلك يقول الشيخ مناع القطان: «ونحن لا نرى الإعجاز في قدر معين؛ لأننا نجده في أصوات حروفه، ووقع كلماته، كما نجده في الآية والسورة، فالقرآن كلام الله وكفى»⁽٣⁾.

---

(١) ممن يقول بهذا القول: سيد قطب، انظر: التصوير الفني في القرآن: ١٩، ود. صلاح الخالدي، انظر: البيان في إعجاز القرآن: ٧٠، و د. مناع القطان، انظر: مباحث في علوم القرآن: ٢٦٤، وغيرهم.

(٢) انظر: البيان في إعجاز القرآن: ٩٣.

(٣) مباحث في علوم القرآن: ٢٦٤.

إيحاء آيات التحدي ودلالاتها

أولاً: المتأمل لآية التحدي التي جاءت في سورة (البقرة) ـ وهي قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] ـ يجد أنها اختصت من بين سائر آيات التحدي كلها بحرف الجر (من) قبل كلمة (مثله)، فما سرُّ انفرادها بهذا الأمر؟ وما المعنى الذي انطوى خلفها؟ وما دلالة مجيء هذا الحرف وإيحاؤه في هذا التحدي؟ طفق العلماء يشيرون إلى بلاغة ذلكم الحرف، ويظهرون أغراضه، فكان مما قالوا في حِكَمه وأسراره: أن مجيء الحرف في هذه السورة ـ التي هي أول القرآن بعد الفاتحة ـ دلالة على قطعية التحدي واستمراره، فقد جاء الحرف «ليُعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره، بخلاف غيرها من السور، فإنه لو دخلها (من) لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعض، ولم يكن ذلك بالسهل»(١).

ولم يقبل د. أحمد هنداوي هذا القول، فقد ردَّه قائلاً: «وهذا التعليل الذي ذهب إليه الكرماني لوجود (من) في آية (البقرة) لا يتناسب مع جلال القرآن، ودقة نظمه، وإحكام بيانه، لأن هذا يجعله شبيهاً بكلام الناس الذين يكتفون في كتبهم بذكر بعض الكلمات والعبارات في موضع دون آخر، اتكالاً على ما سبق ذكره، والقرآن لا تغني فيه سورة عن سورة، ولا كلمة عن كلمة، فكل في موضعه نسيج وحده، وفرد في محاسنه، ونظم كل سورة شيء خاص بها

---

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١١٧، لمحمود بن حمزة الكرماني.

لايتعداها إلى غيرها»⁽¹⁾ ، ومن ثم فقد ذكر د. أحمد هنداوي السرَّ في وجود الحرف (من) في هذا السياق دون غيره ، يقول : «والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن وجود (من) في آية (البقرة) ـ وهي آخر ما نزل من آيات التحدي ـ يُنبئ عن القدر المتحدى به في هذه السورة أقل التحديات درجة ، فالمطلوب منهم الإتيان بسورة أي سورة شريطة أن تشتمل على الحد الأدنى من مثلية القرآن» ⁽²⁾ ، وحسنٌ هذا التعليل الذي ذكره إلاَّ أن فيه تحديداً للقدر المتحدى به ، وقد ذكرت فيما سبق أن تحدي القرآن في نوعه لا في مقداره أو كمه ، ومن هنا فإن في مجيء هذا الحرف (من) في هذا الموضع ـ وهو آخر ما نزل من آيات التحدي ـ مزيد تقريع لهم وتوبيخ ، كما أن فيه تسجيلاً عليهم بالعجز والغلبة في معارضة القرآن ، ومن هنا يُعلم أن هناك فرقاً في هذا التحدي بين آية (البقرة) وآية (يونس) فالآيتان وإن كان التحدي فيهما بالإتيان بسورة واحدة إلاّ أن هناك فرقاً ومخالفة بينهما ، دلَّ على هذا الفرق ، وذلك الاختلاف دخولُ حرف الجر (من) على كلمة (مثل) في آية (البقرة) دون آية (يونس) ⁽³⁾ .

ثانياً : وصُفت العشر السور التي وقع بها التحدي في سورة (هود) بلفظة (مفتريات) ، فما دلالة هذا الوصف في آيات التحدي؟ جاءت لفظة (مفتريات) في سياق آيات التحدي تَنَزُّلاً معهم وتوسعةً عليهم في المجادلة والمعارضة ، فجاءت حاكية قولهم لرسول الله ﷺ : «إنك افتريت القرآن واختلقته من عند

---

(١) آيات التحدي ودقائق في نظمها : ٣٣٧ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣٨ .

(٣) انظر : المصدر السابق: ٣٣٩ .

نفسك، وليس من عند الله، فلما قالوا ذلك قاودهم على دعواهم، وأرخى معهم العنان، وقال: هبوا أني اختلقته من عند نفسي، ولم يُوح إليَّ، وأن الأمر كما قلتم، فأتوا أنتم أيضاً بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم، فأنتم عرب فصحاء مثلي، لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام»(١)، ومع هذه التوسعة عليهم، بهذا الأمر إلاَّ أنهم عجزوا، وما جرؤوا على الإقدام على المعارضة«مع أن المفترى أسهل، ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب، واللفظ إذا اتبع المعنى الصحيح كان أصعب» (٢) .

وللفظة (مفتريات) دلالة مهمة في مجال التحدي، فقد جاء هذا الوصف ليدل دلالة واضحة وصريحة على أن القرآن تحداهم بأن يأتوا بمثله، في فصاحته وبلاغته فقط، فقد بيَّن هذا الوصف المجال الذي يكون فيه التحدي، والنموذج الذي طُلب منهم الإتيان بمثله، فقد وقع التحدي في ميدان الفصاحة والبلاغة دون غيرها من الميادين والمجالات، يقول محمود شاكر ـ في تقديمه لكتاب مالك بن نبي (الظاهرة القرآنية) مبيناً أن سبب إعجاز القرآن وتحديه لهم إنما هو راجع إلى بلاغة القرآن وفصاحته ـ يقول: «إن الذين تحادهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الإتيان بمثله، أو بعشر سور مثله مفتريات هو هذا الضرب من البيان، الذي يجدون في أنفسهم أنه خارج من جنس بيان البشر»(٣)، ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر قائلاً: «ثبت أن ما في القرآن جملة من حقائق الأخبار عن

---

(١) الكشاف : ٢ / ٢٦١، للزمخشري .

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى : ١ / ٣٦٢، للقاضي عياض .

(٣) مقدمة كتاب : الظاهرة القرآنية : ٢٥ ، مالك بن نبي .

الأمم السالفة، ومن أنباء الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلاّ بعد القرون المتطاولة من تنزيله كل ذلك بمعزل عن الذي طُولب به العرب، وهو أن يستبينوا في نظمه وبيانه انفكاكه من نظم البشر وبيانهم من وجه يحسم القضاء بأنه كلام رب العالمين »(١)، وقد أشار كثير من العلماء قديماً وحديثاً إلى أن وجه إعجاز هذا القرآن هو بلاغته وفصاحته(٢)، فلأجل هذا البيان الذي جاء به القرآن كان معجزاً، ومن ثم كان مجال التحدي هو ساحة البيان، وميدانه الرحب.

ثالثاً: المتأمل في آيات التحدي كلها يجد أنها تُختم بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾(٣)، ولهذه الجملة الشرطية دلالتها في مجال التحدي، تظهر تلك الدلالة من أداة الشرط (إنْ) فقد جاءت دون (إذا)، وفي هذا إشارة إلى موقفهم الضعيف الهزيل تجاه القرآن، فغاية ما يصلون إليه هو الشك والارتياب فيه، وعدم اليقين، ومن هنا جاءت هذا الأداة (إنْ) دالة على هذا المعنى.

كما أن في حذف متعلق (صادقين) دليلاً على تعدد مواقفهم، واضطرابها نحو القرآن، فليس لهم موقف واحد، أو رأي متحد نحو القرآن حتى يُذكر، فهم مختلفون فيه، ولا يزالون مختلفين، فلا موقف لهم ثابت، ولا رأي متحد، بل تُحَرِّكهم في ذلك أهواؤهم، وعقولهم المنحرفة، ولا يخفى ما في لفظة

---

(١) مقدمة كتاب: الظاهرة القرآنية: ٢٢.

(٢) انظر: دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن: د. المحمدي عبدالعزيز الحناوي، فقد ذكر هؤلاء العلماء، وبسط القول في هذه المسألة، تحت مبحث: الباحثون في القرآن يجمعون على إعجازه البياني: ٧٩.

(٣) ما عدا الآية التي وردت في سورة (الإسراء).

﴿ صَٰدِقِينَ﴾ من تعريض بكذبهم وافترائهم نحو القرآن، ومجانبتهم الصدق والحق في هذا الأمر العظيم.

رابعاً: المتأمل في هذه الآيات المتدبر لها يجد أنها تأتي ـ دائماً ـ في سياق ذكر موقف المشركين نحو القرآن الكريم، فقد جاءت آية (البقرة) في سياق ذكر ارتيابهم في القرآن، وكفرهم به، يدل على ذلك قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، وكذلك جاءت آيتا: (يونس وهود) في سياق ذكر افتراءات المشركين في شأن القرآن، يدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ في صدر الآيتين ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ فقد صدرتا بذكر الافتراء، كما جاءت آية (الطور) في ثنايا ذكر تقولهم على رسول الله ﷺ، وافترائهم عليه، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]، ولهذا الملحظ دلالته المهمة في مجال التحدي، وطلبِ معارضة القرآن، والإتيانِ بمثله، ففي هذا إشارة إلى ما دفعهم ويدفعهم إلى موقفهم من القرآن الكريم، فليس لهم مستند من الحقيقة بل هي محض افتراءات بسبب ما تغلي به مراجلهم من الحقد والبغض على الدعوة الجديدة التي زلزلت عروشهم، وحطمت مكانتهم الاجتماعية.

خامساً: المتأمل في الآيات المتحدى بها يجد أنها ـ بعد اتفاقها في طلب التحدي ـ تختلف في الآيات التي تأتي بعدها، وتتنوع في أوامرها وإرشاداتها، فقد قال ـ سبحانه ـ بعد آية (البقرة): ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال بعد آية (يونس) ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ٣٩]، وقال بعد آية (هود): ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٤]، وكأن في هذا دلالة على أن هذا التحدي الذي تحداهم الله به لم يكن مقصوداً لذاته، ولا هدفاً يُسعى إليه، بل كان وسيلة لغاية أخرى⁽¹⁾، فهو وسيلة لدعوتهم إلى الإيمان، والنجاة من النار، والتصديق بالقرآن، وإثبات أحقيته ومصدريته من الله، فقد حذَّرهم في سورة (البقرة) ـ بعدما تحداهم ـ من النار، فكأنه يقول: إن موقفكم من القرآن سيقودكم إلى النار، إن لم تتداركوا أنفسكم، وتتركوا هذا الارتياب، وذلك الافتراء، وأشار في سورة (يونس) ـ بعدما تحداهم ـ إلى موقفهم من القرآن، معللاً ذلك بسبب جهلهم، وكذبهم وافترائهم في القرآن الكريم، ومَن جاء به، وكذلك أشار في سورة (هود) ـ بعدما تحداهم ـ إلى مصدر القرآن الكريم، وأنه نازل من عنده ـ سبحانه ـ ثم هو يدعوهم إلى توحيد الله، والدخول في الإسلام.

سادساً: جاء نزول القرآن الكريم وتحديه لهم في وقت بلغ المشركون المنزلة الرفيعة في الفصاحة والبلاغة، فقد كانوا «أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام، قد خُصوا من البلاغة والحِكم بما لم يُخص به غيرهم من الأمم، وأُوتوا من ذرابة اللسان⁽²⁾ مالم يُؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يُقيِّد الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخِلقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة

---

(١) انظر: البيان في إعجاز القرآن: ٦٦.

(٢) الذرابة: أصل معناها: حدة السيف والسنان، والمراد بها: طلاقة اللسان مع خلوه من اللكنة.

بالعجب، ويُدْلُون به كل سبب، فيخطبون ويرتجزون، ويمدحون ويقدحون، ويتوسلون ويتوصلون، ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، فيخدعون الألباب، ويذللون الصعاب، ويُذهبون الإِحَن، ويُهيجون الدِّمَن⁽¹⁾، ويُجرِّئون الجبان، ويُصيِّرون الناقص كاملاً، ويتركون النبيه خاملاً»⁽²⁾، فحالة هؤلاء القوم البيانية من أكبر الدلائل على إعجاز القرآن، وذلك أنه تحدى أرباب اللسان، وفرسان الكلام، ومع ذلك عجزوا، ولم يبدوا جواباً وما نطقوا، وما اجترؤوا على الإقدام على المعارضة، وما قبلوا هذا التحدي، وما أتوا بمثل القرآن، وفي هذا دلالة على ذلك المستوى البياني الرفيع المعجز الذي تميز به القرآن الكريم، مما جعل أرباب الفصاحة والبيان يقفون مكتوفي الأيدي أمامه عاجزين، شاخصة أبصارهم نحوه، مشدوهين بفصاحته وبلاغته.

سابعاً: المتأمل لآيات التحدي يجد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حينما يتحدى هؤلاء المشركين يدعوهم إلى الاستنصار بمن يشاؤون، فقال في سورة (البقرة) ﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال في سورتي: (يونس وهود): ﴿ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ولهذا الأمر عدة دلالات في مجال التحدي، ففي هذا الأمر رد على من يقول منهم: إن عجزنا لا يُعدُّ عجز البشر كلهم عن الإتيان بمثل القرآن⁽³⁾، فيكون في ذلك رد على هذا الزعم، فها هو يدعوهم إلى الاستنصار بمن يريدون للإتيان بمثل القرآن الكريم.

---

(١) المراد بها هنا: الحقد المضمر في البواطن.

(٢) الشفا: ١/ ٣٥٩، وقد ذكر كلاماً نفيساً في بيان ما عليه القوم من الفصاحة والبلاغة، تحسُن قراءته، والوقوف عنده.

(٣) انظر: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ١٨٣، لبديع الزمان سعيد النورسي.

كما أن في ذلك تعريضاً بهم حين أنكروا أن يكون القرآن نازلاً من عند الله، وذلك أن في عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن ـ وقد استعانوا بكل من يعينهم على هذا الأمر ـ دليلاً قاطعاً، وبرهاناً ساطعاً على أن القرآن من عند الله، إذ عَجَزَ البشر مجتمعين عن الإتيان بمثله(١).

وكذلك فقد قُصد من وراء إثبات عجز هؤلاء المستنصَر بهم نزع ثقتهم من نفوسهم، بعجز طاقاتهم وقدراتهم أن تأتي بمثل القرآن، وذلك ببيان أنهم لا يملكون حولاً ولا قوة(٢).

ثامناً: امتد نزول آيات التحدي، واستمرت من العهد المكي إلى العهد المدني، وفي هذا دلالة على استمرار التحدي فهو قائم ومستمر حيثما وُجد من يطعن به، ويزعم أنه مختلق مفترى، ولأمرٍ ما، ولحكمة أرادها الله وقدرها خُتمتْ آيات التحدي بقوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، فنلحظ في هذه الآية أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذكر فيها الحكم القاطع والحاسم في هذه المسألة، وهو إظهار عجزهم، وعدم قدرتهم على هذا الأمر في قوله: ﴿ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ فالتحدي في هذه الآية ـ وهو آخر المطاف ـ عجيب جداً "والجزم بعدم إمكانه أعجب، ولو كان في الطاقة تكذيبه ما توانوا عنه لحظة، وما من شك أن تقرير القرآن الكريم أنهم لن يفعلوا، وتحقق هذا كما قرره، هو بذاته معجز، لا سبيل إلى المماراة فيها، ولقد كان هذا المجال أمامهم مفتوحاً، فلو أنهم جاؤوا بما ينقض هذا

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٢ / ٢١ .

(٢) انظر: البيان في إعجاز القرآن: ٦٦ .

التقرير القاطع لانهارت حجية القرآن، ولكنَّ هذا لم يقع، ولن يقع كذلك، فالخطاب للناس جميعاً»(١).

لذا فلما تقرر عجزهم في هذا التحدي، أرشدهم - سبحانه - إلى ما فيه نجاتهم وفلاحهم في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ فهو أمر لهم أن يتركوا المجادلة والافتراء والارتياب في القرآن، وأن يأخذوا في أسباب النجاة، وذلك بتصديق هذا الكتاب، والإيمان به، وأنه نازل من عند الله، كما أن في هذا الأمر ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ إشارة إلى أن استمرارهم في تكذيب القرآن والافتراء فيه قد يكون سبباً لدخول النار. والله أعلم.

---

(١) في ظلال القرآن: ١ / ٤٢.

وقفة بلاغية لآية البقرة المُتَحدَّى بها

وفيما يلي أختم هذه الدراسة بوقفة بلاغية تحليلية لآيتي التحدي الواردة في سورة البقرة ؛ للغوص في دقائق نظمها ، والنظر في بديع سبكها وإحكامها ؛ ليتبين لنا ما تضمنته من أسرار بلاغية ، ونكت بيانية ؛ بسببها عجز القوم عن معارضة القرآن ، والإتيان بمثله أو بعضه.

يقول الله ـ تعالى ـ مبيناً موقف المشركين من القرآن ، ذاكراً ريبهم فيه ، ومتحدياً لهم أن يأتوا بسورة من مثله ، يقول ـ سبحانه ـ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣ ـ ٢٤] .

جاء ذكر موقف كفار قريش بما هم فيه من الريب نحو القرآن بأداة الشرط (إنْ) ، ومعلوم أن هذه الأداة تُستعمل في الأمور المشكوك فيها المحتمل وقوعها ، فيكف جاءت هذه الأداة (إنْ) في هذا السياق ، وهي للشك ، مع أن القوم جازمون في كون القرآن مختلقاً مفترى لم يكن من عند الله ؟! فما السرُّ في مجيء هذه الأداة هنا ، مع علمه ـ سبحانه ـ أنهم مرتابون في القرآن؟! فقد كان الظاهر من خلال موقفهم من القرآن ، وريبهم فيه أن تأتي أداة الشرط (إذا) دلالة على تحقق وقوعه منهم ، وشدة يقينهم بأن القرآن ريب وافتراء ، فكيف جاءت هذه الأداة (إنْ) التي تفيد أن ريبهم في القرآن مشكوك فيه ، مع أنهم جازمون في ذلك ، معتقدون ريبه بلا شك أو تردد ؟ وبيان هذا الأمر أن بلاغة القرآن تكمن

في استخدامه هذه الأدوات الشرطية ـ حين يستخدمها ـ في غير مواضعها التي وُضعت له في أصل اللغة ؛ وذلك لأسرار بلاغية ، وحكم بيانية ، فقد جاءت هذه الأداة (إنْ) في هذا السياق مشيرة إلى إن موقف هؤلاء الكافرين من القرآن لايعدو أن يكون ـ مهما بلغ من العناد والمكابرة ـ إلا ارتياباً لا يصل إلى درجة الجزم ، كما أن مجيء هذه الأداة دلالة على وضوح برهان هذا الكتاب ، وسطوع حجته ، فلا يرتاب فيه العقلاء ، ذوو النظر الثاقب ، والفكر الصائب في كونه نازلاً من عنده ـ سبحانه ـ ، وفي هذا دلالة على أن ارتيابهم فيه وجوده كالعدم ، فكأن وقوع الارتياب أصلاً مشكوك فيه ، من غير المحتمل وقوعه ، ومن هنا ناسب أن تأتي هذه الأداة مشيرة إلى هذه المعاني كلها⁽¹⁾ .

كما أن مجيء هذه الأداة ـ في هذا السياق ـ إشارة إلى ما تميز به القرآن من الفصاحة والبلاغة ؛ «وذلك أن هذا القرآن قد اشتُقت ألفاظه ومعانيه ما لو تدبره عاقل لجزم بكونه من عند الله ـ تعالى ـ ، فإنه قد جاء على فصاحة وبلاغة ما عُهد مثلها من فحول بلغائهم ، فكيف يبقى بعد ذلك كله مسلك للريب فيه إليهم»⁽²⁾ .

جاء حرف الجر (في) ـ بدلالته على الظرفية ـ في قوله : ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ ﴾ مبيناً انغماس الكافرين في الريب ، فقد أشعر هذا الحرف أن الريب قد تملَّكهم ، وأحاط بهم من جميع جوانبهم إحاطة الظرف بمظروفه ، فأصبح القرآن لديهم ـ وهو حق اليقين ـ ريباً يرتابون فيه .

---

(1) انظر : حاشية القونوي : ١ / ١٢٨ .

(2) التحرير والتنوير : ١ / ٣٣٦ .

كما تضمن هذا الحرف تثريباً عليهم، وازدراء بعقولهم، فينكر ـ سبحانه ـ أن يكونوا في ريب نحو القرآن، فضلاً أن يكونوا منغمسين في هذا الريب، وأن يتملَّكهم، وأن يحيط بهم إحاطة السوار بالمعصم⁽١⁾.

جاء التعبير القرآني بذكر ارتيابهم في القرآن بقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ ﴾ دون قوله: وإن ارتبتم فيه، أو فيما نزل، أو في القرآن، أو نحو ذلك؛ وذلك أن في التعبير الذي جاء به القرآن مزيد مبالغة في تبرئة ساحة القرآن من أدنى شائبة من وقوع الريب فيه، كما قال ـ سبحانه ـ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢]، فإن كان ثمة ريب فإنه حاصل منهم، وصادر من قلوبهم، والقرآن برآء من ذلك كله⁽٢⁾.

وقد تمَّ ذكر إنزال القرآن في هذا السياق بصيغة ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ بالتضعيف دون صيغة ﴿ أَنزَلْنَآ ﴾ فما سرُّ إيثار هذه الصيغة في هذا المقام؟ كشف سرَّ التعبير بهذه الصيغة أبو السعود قائلاً: «وإيثار التنزيل المنبئ عن التدرج على مطلق الإنزال لتذكير منشأ ارتيابهم، وبناء التحدي عليه، إرخاء للعنان، وتوسيعاً للميدان، فإنهم كانوا اتخذوا نزوله منجماً وسيلة إلى إنكاره، فجعل ذلك من مبادئ الاعتراف به كأنه قيل: إن ارتبتم في شأن ما نزلنا على مهل وتدرج فهاتوا أنتم مثل نوبة من نوبه، ونجم فرد من نجومه، فإنه أيسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة، ويُتحدى بالكل، وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت، وإزاحة العلل»⁽٣⁾.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١ / ٣٣٦.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم: ١ / ٦٥.

(٣) انظر: المصدر السابق: ١ : ٦٤.

وفي لفظة : ﴿ نَزَّلۡنَا﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم ، وذلك أن الآية التي قبلها جاءت بضمير الغيبة ؛ وذلك لتنبيه العقول إلى المنزَّل ، وجلب الأنظار إليه ، كما أن فيه تفخيماً وتعظيماً لمنزِّل الكتاب ، دلَّ على هذا التفخيم ، وذلك التعظيم إسناد الإنزال إلى ضمير العظمة ، وفي ذلك غرس لمهابته في النفوس ، وتربية القلوب على تعظيمه والخشية منه⁽¹⁾ .

وقد أظهر هذه المكانة ، وتلك المزية حرفُ الجر (من) في قوله : ﴿ مِّمَّا نَزَّلۡنَا﴾ بدلالته على ابتداء الغاية ، فقد كشف عن مصدر هذا الكتاب ، وأبان عن حقيقته مما يتنافى معه الريب ويتلاشى.

وقد دلَّ حرف الجر على ـ بدلالته على الاستعلاء ـ في قوله : ﴿ عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ على صدق القرآن ، وانتفاء الريب عنه ، فكيف يكون الارتياب في القرآن وقد نزل من عند الله على رسوله ﷺ ، وتمكَّن منه غاية التمكن ، حتى صار كأنه قد تغشاه ولبسه؟! فهل يبقى بعد ذلك ريب في قلوبهم نحو القرآن في نزوله من عند الله؟!

وبعد أن بيَّن ـ سبحانه ـ موقفهم من القرآن وارتيابهم فيه يأمرهم ـ سبحانه ـ تعجيزاً لهم بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن في قوله : ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ ، وهذا الفعل ﴿ فَأۡتُواْ﴾ جواب الشرط المتقدم ، فقد ترتب على ارتيابهم في القرآن أن أُمروا هذا الأمر التعجيزي الذي يُظهر زيف دعواهم في القرآن ويبطلها ، والمعنى : إن كان محمد ـ كما تزعمون ـ هو الذي اختلق القرآن من عنده ، فما الذي يمنعكم وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة أن تأتوا بمثل هذا القرآن ؟!

---

(١) إرشاد العقل السليم : ١ / ٦٥ .

ولا يخفى ما في هذا الأمر التعجيزي من إقامة الحجة عليهم، وإلقامهم الحجر، ردعاً لهم، وتبكيتاً؛ بسبب افتراءاتهم وشكوكهم.

وتنكير لفظة: (سورة) للإفراد والنوعية، وفي هذا مزيد تعجيز لهم، فهو يطلب منهم سورة واحدة من نوع القرآن دون تمييز لها، أو ذكر صفات لها، فهو يريد منهم أن يأتوا بسورة أياً كان نوعها(١).

وقد ذكر الزمخشري الغاية من تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً في قوله: «ليست الفائدة في ذلك واحدة، ولأمرٍ ما أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه الله إلى أنبيائه على هذا المنهاج، مسوَّرة مترجمة السور، ومن فوائده: أن الجنس إذا انطوى تحته أنواع، واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بياناً واحداً، ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له، وأهزَّ لعطفه، وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثله المسافر إذا علم أنه قطع ميلاً، أو طوى فرسخاً، أو انتهى إلى رأس بريد نفَّس ذلك منه، ونشَّطه للسير، ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها، لها فاتحة وخاتمة، فيعظم عنده ما حفظه، ويجلُّ في نفسه، ويغتبط به، ومنها أن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني، ويتجاوب النظم إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع»(٢).

وقد اختلف المفسرون في عود الضمير في ﴿ مِّثْلِهِۦ ﴾ في قوله: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ فقيل: إنه عائد على القرآن، والمعنى: من مثل هذا القرآن بلاغة

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١/ ٣٣٧.

(٢). الكشاف: ١ / ١٤١.

وفصاحة، وفي كونه حقاً وصدقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقيل: إن الضمير عائد على الرسول ﷺ، أي هاتوا من البشر أجمعين من هو مثل محمد ﷺ فإنه أمي لا يحسن الكتابة ولا القراءة(١).

ولكن ومن خلال النظر في آيات التحدي كلها ـ والقرآن يفسر بعضه بعضاً ـ يتبين أن المراد بالمثل هو القرآن الكريم، وذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذكر في موضع آخر من آيات التحدي قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ... ﴾ [يونس: ٣٨]، ومعلوم أن السورة ليست لرسول الله ﷺ بشبيه ولا مثيل، حتى يعود الضمير عليه، يدل على هذا القول ـ أيضاً ـ ويؤكده قوله ـ تعالى ـ في آية أخرى من آيات التحدي ـ ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ ﴾ [هود: ١٣]، فوصف هذه السور بكونها مفتريات دلالة واضحة صريحة أن الحديث حول هذه السور، فحيثما ذُكر المثيل، فالمراد به مثيل السور، وقد رجَّح هذا القول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري(٢)، كما هو قول جمهور العلماء، كما حكى ذلك القرطبي في تفسيره(٣).

يؤكد هذا القولَ وينصره –أيضاً– مطلعُ سورة (البقرة) التي جاءت فيها هذه الآية، فقد كان مطلعها الحديث عن القرآن، من خلال نفي جميع أجناس الريب عنه في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ... ﴾ [البقرة: ٢]، فكأن الحديث ما زال موصولاً عن القرآن، وعن نفي الريب عنه، فكأن المعنى: إن كان ثمة ريب عندكم في الكتاب الذي نفينا الريب عنه، وإن كانت قلوبكم لا تزال ترتاب

---

(١) انظر: جامع البيان: ١ / ١٦٥.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١ / ١٦٦.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٢٧٥.

فيه، فهاتوا أنتم سورة من مثل هذا الكتاب، ومن هنا يُعلم أن الحديث لا زال موصولاً عن القرآن في تأكيد نفي الريب عنه، وإخلاء ساحته منه⁽¹⁾.

وقد انتصر الزمخشري لهذا القول مبيناً صوابه ورجاحته قائلاً: «وردُ الضمير إلى المنزَّل أَوجَه؛ لأن القرآن جدير بسلامة الترتيب، والوقوع على أصح الأساليب، والكلام مع رد الضمير إلى المنزَّل أحسن ترتيباً؛ وذلك أن الحديث في المنزَّل لا في المنزَّل عليه، وهو مسوق إليه، ومربوط به، فحقه أن لا ينفك عنه برد الضمير إلى غيره، ألا ترى أن المعنى: وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم أيضاً مما يماثله ويجانسه، وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله ﷺ أن يُقال: وإن ارتبتم في أن محمداً ﷺ منزَّل عليه فهاتوا قرآناً من مثله؛ ولأنهم إذا خُوطبوا ـ وهم الجمُّ الغفير ـ بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ في التحدي من أن يُقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد، ولأن هذا التفسير هو الملائم لقوله ﴿وَإِن وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾» ⁽²⁾.

وقد يقول قائل: بعد أن تبين عود الضمير في (مثله) إلى القرآن: فهل للقرآن مثيل، حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل؟ أجاب الإمام الطبري عن هذا السؤال قائلاً: «إنه لم يُعنِ به: ائتوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني التي باين بها سائر الكلام غيره، وإنما عنى بذلك: ائتوا بسورة من مثله في البيان؛ لأن القرآن أنزله الله بلسان عربي، فكلام العرب لا شك له مثل في معنى العربية، فأما في

---

(1) انظر: آيات التحدي ودقائق في نظمها: ٣٣٤.

(2) الكشاف: ١ / ٢٤٢.

المعنى الذي باين به القرآن سائر كلام المخلوقين فلا مثل له من ذلك الوجه، ولا نظير ولا شبيه»(١).

ثم قال ـ تعالى ـ إمعاناً في تحديه لهم، وإظهار عجزهم: ﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾، وقد وُصلت هذه الجملة بالتي قبلها؛ وذلك لاتفاقهما في الإنشائية، مع اتحاد الموضوع الجامع بينهما، فقد عُطف هذا الأمر على قوله: ﴿ فَأۡتُواْ ﴾، ولا يخفى ما في هذا الأمر من تحدٍ صريح لهم، وحث لا مزيد عليه لهم للإتيان بمثل القرآن إن كانوا يستطيعون ذلك، كما زعموا في قولهم: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١]، فيقول ـ سبحانه ـ متحدياً لهم، وباعثاً هممهم لهذا الأمر «ادعوا من استدعيتم طاعته، ورجوتم معونته من رؤسائكم وأشرافكم في الإتيان بسورة من مثله»(٢)، يأمرهم ـ سبحانه ـ سخرية بهم واستهزاء أن يدعوا ويستنصروا بمن يشاؤون ممن يفزعون إليهم في المهمات، ويعولون عليهم في المدلهمات، ليتظاهروا جميعاً ويتكاتفوا على هذا الأمر لعلهم أن يصلوا إلى الغاية التي يطمحون إليها، وما هم بقادرين على ذلك أبداً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، كما حكم بذلك ـ سبحانه ـ وقضى في محكم التنزيل.

ثم ختم ـ سبحانه ـ هذه الآية بقوله: ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ولما كان صدقهم في هذا الافتراء والارتياب في القرآن غير محتمل الوقوع، بعيداً كل البعد جاء النظم القرآن في هذا السياق بأداة الشرط (إن) دلالة على هذا المعنى، وإشارة

---

(١) جامع البيان: ١ / ١٦٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١ / ١٠٠.

إلى كذبهم في هذا الظن، ودحض لارتيابهم في القرآن في كونه من عند الله، ومن هنا يظهر السرُّ في مجيء هذه الأداة (إنْ) دون (إذا) مع أنهم في ظنهم واعتقادهم جازمون ومتيقنون في دعواهم، وارتيابهم فيه.

وقد حُذف جواب هذه الأداة؛ وذلك لدلالته ووضوحه، فقد أغنى عنه جواب الشرط الأول المتقدم، وتقدير هذا الجواب: إن كنتم صادقين فافعلوا ذلك(١).

ولا يخفى ما تضمنته الجملة الشرطية ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ من تكرار تحديهم، وإعادة الأمر بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم، كما لا يخفى ما فيه من إثارة لحماسهم، وبعث لهممهم وتنشيط لها، كيف لا وقد جاءت معرِّضة بعدم صدقهم، فقد توافر في هذه الآية دواعي المعارضة من قِبلهم، فما الذي يمنعهم من الإقدام على ذلك؟ وهم الذين يزعمون أن الأمر بأيديهم لو أرادوا ذلك؟!(٢)

وقد حُذف في هذا المقام متعلق لفظة ﴿صَٰدِقِينَ﴾، والتقدير: إن كنتم صادقين في دعوى أن القرآن كلام البشر، وتكمن بلاغة هذا الحذف أن فيه تهميشاً لذكر رأي المشركين في القرآن، وعدم الاعتداد به أو الاعتراف، كما أن في هذا الحذف تنزيهاً للقرآن، وللأسماع من ذكره.

ولما كان أَمْره ـ سبحانه ـ لهم بأن يأتوا بسورة من مثله أمر تهكم وتعجيز لهم إذ ليس في قدرتهم الإتيان بمثل ذلك أمرهم وأرشدهم باتقاء النار التي أُعدت لمن كذَّب بالقرآن، وافترى عليه، وارتاب في أمره، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿فَإِن لَّمْ

---

(١) انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ١ / ٢٠٤.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ١ / ١٤١.

تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ وقد جاء نظم الآية بأداة الشرط (إنْ) التي من حقها أن تأتي في الأمور المحتمل وقوعها، والمشكوك فيه، ومن هنا يُثار العجب، ويتبادر إلى الأذهان هذا السؤال: كيف تأتي هذه الأداة في هذا السياق ؟ ونحن نعلم علماً يقينياً أنهم لن يأتوا بمثل القرآن، ولا سورة منه، ولا آية ؟! أليس المتبادر إلى الأذهان و المتقرر أن تأتي أداة الشرط (إذا) بدلاً من(إنْ)، أوليس المقام مقامها؟ فهي التي تأتي في الأمور المتيقن وقوعها، المجزوم بحدوثها، فما السرُّ وراء التعبير بهذه الأداة (إنْ)، وما الغرض البلاغي منها ؟ أجاب الزمخشري عن هذا التساؤلات فذكر غرضين من أغراض هذا التعبير:

«**الأول**: أن يُساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم؛ لاتكالهم على فصاحتهم، واقتدارتهم على الكلام.

والثاني: أن يتهكم بهم، كما يقول الموصوف بالقدرة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاومه: إن غلبتك لم أبقِ عليك، وهو يعلم أنه غالبه، ويتيقنه تهكماً به»(١).

وقد ذكر البقاعي تعليلاً نفيساً، وسراً بليغاً لمجيء هذه الأداة في هذا السياق قائلاً:«ولما كان ـ سبحانه ـ عالماً بأن الأنفس الأبية، والأنوف الشامخة الحمية التي لزمت شيئاً فمرنت عليه حتى صار لها خلقاً يصعب عليها انفكاكها عنه، ويعسر خلاصها منه عبَّر عن هذا الإخبار بالعجز مهدداً في سياق ملجئ إلى

---

(١) الكشاف: ١ / ٢٤٧.

الإنصاف بالاعتراف ... وإلى العجز عن المطلوب بقوله: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴾ فأتى بأداة الشك تنفيساً لهم، وتهكماً في نفس الأمر بهم، واستجهالاً لهم، ثم لم يتمم ذلك التنفيس حتى ضربهم ضربة قصمت ظهورهم، وقطعت قلوبهم، فقال لتكون الآية كافلة لصحة نسبة النظم، والمعنى آيد، وآكد لادعائهم المقدرة بقوله: ﴿ وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴾ فألزمهم الخزي بما حكم عليهم به من العجز، فلم يكن لهم فعل إلا المبادرة إلى تصديقه بالكف، فكانوا كمن أُلقم الحجر فلم يسعه إلاَّ السكوت»⁽١⁾، ومن هنا تتجلى بلاغة النظم القرآني في استخدامه لأدوات الشرط، ووضع كل واحدة منهما موضع الأخرى؛ لأسرار بلاغية، ونكت بيانية عظيمة، كما رأينا هذا جلياً في هذه الآية.

وقد جاء في النظم القرآني التعبير عن الإتيان بالفعل في قوله:﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴾ فما سرُّ العدول عن لفظ (الإتيان) إلى لفظ (الفعل)؟ جاءت لفظة (تفعلوا) لما فيها من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، فقد أغنت عن التكرار والتطويل، فلما كان المقام مقام إيجاز جاءت لفظة (تفعلوا) اقتضاء لطلب المقام لها؛ وذلك أنها أشد اختصاراً من أن يُقال: فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله⁽٢⁾، كما أن في اختيار هذه اللفظة «دفعاً للسآمة والملال، وتنشيطاً للسامع بذكر لفظ جديد، مع إفادة المعنى السديد»⁽٣⁾.

---

(١) نظم الدرر: ١ / ١٧٠ .

(٢) انظر: التفسير الكبير: ٢ / ١٢١ .

(٣) حاشية القونوي: ١ / ١٣٤ .

وقد حُذف مفعول (تفعلوا) في كلا الكلمتين ؛ وذلك لدلالة السياق عليه، إذ التقدير: فإن لم تفعلوا ذلك أي الإتيان بسورة مثله(١)، كما أن في حذف المفعول إشارة «بأن المقصود بالتكليف هو إيقاع نفس الفعل المأمور به ؛ لإظهار عجزهم عنه، لا لتحصيل المفعول أي المأتي»(٢).

وقد جاءت هذه الجملة (ولن تفعلوا) معترضة بين فعل الشرط وجوابه، ولا يخفى ما في هذه الجملة من تأكيد معنى ما تقدمها من نفي الإتيان منهم، كما أن فيها تأكيداً لإيجاب العمل بتاليها، وهو اتقاء النار(٣)، كما لا يخفى ما تضمنته من إثارة لهممهم وحميتهم بما يدفعهم ويُغريهم بتكلف المعارضة، والإقدام على هذا العمل، ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ وأنجع.

ومما زاد حميتهم، وأثار نفوسهم مجيء الجملة بالنفي المؤبد المستقبلي، فجاءت أداة النفي (لن) في هذا السياق دون غيرها من أدوات النفي، ففيها معنى ليس في (لا)، فهما وإن كانتا لنفي المستقبل «إلاَّ أن في (لن) توكيداً وتشديداً، تقول لصاحبك: لا أقيم غداً، فإن أنكر عليك، قلت: لن أقيم غداً»(٤)، ومن هنا تبرز دقة القرآن العظيم في تخيره الألفاظ والأدوات التي تؤدي معانيه خير أداء مما يقصر عنه جميع الألفاظ والأدوات، فألفاظ هذا القرآن وحروفه قد اختيرت على غيرها لسرٍّ كامن فيها، ومهما وضعنا بدل هذه اللفظة أو الحرف شيئاً آخر فإنه لن يفي بالغرض، ولن يُظهر المعنى، ويؤديه تمام الأداء.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١ / ١٤٢.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١ / ٦٦.

(٣) انظر: محاسن التأويل: ٢ / ٧٣.

(٤) الكشاف: ١ / ٧٣.

ومجيء هذه الجملة (ولن تفعلوا) ـ بهذا النفي المؤكد المستقبلي ـ من أكبر دلالات إعجاز القرآن ؛ وذلك «أن العرب كانوا في غاية العداوة لرسول الله ﷺ ، وفي غاية الحرص على إبطال أمره ، لأن مفارقة الأوطان والعشيرة ، وبذل النفوس والمهج من أقوى ما يدل على ذلك ، فإذا أُضيف إليه مثل هذا التقريع ، وهو قوله (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) فلو كان في وسعهم وإمكانهم الإتيان بمثل هذا القرآن ، أو بمثل سورة منه لأتوا به فحيث ما أتوا به ظهر المعجز»(١) .

كما في هذه الجملة المعترضة إعجاز غيبي للقرآن ، فقد أخبر ـ سبحانه ـ بهذا الخبر جازماً قاطعاً أن القرآن لا يُعارض بمثله أبد الآبدين ، ودهر الداهرين(٢) ، كما أن في هذا الإخبار القاطع دلالة على أن القرآن من عند الله ، وإلاَّ فأنى لرجل أمي لم يقرأ ولم يكتب أن يأتي بهذا القول الصريح في إخباره عن أمر مستقبلي لا يعلم غيبه إلا الله ، فكان الأمر كما قال ، والواقع كما أخبر ، فما استطاع أحد منهم ـ ولن يستطيع ـ الإتيان بمثل القرآن ، وصدق الله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ ـ ٤] ، فالله هو الذي أنطقه بهذا القول ، وهو الذي خصَّه بهذا الوحي المعجز .

وبعد أن بيَّن ـ سبحانه ـ عجزهم عن الإتيان بمثل سورة من القرآن أمرهم أن يكفوا عما هم فيه ، وأن ينشغلوا بما فيه فلاحهم في الآخرة في قوله : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ وقد حُذف جواب (إنْ) في هذه الآية ، وقد أفصح عن ذلك المحذوف وأشار إليه ما جاء مذكوراً في الآية وهو

---

(١) التفسير الكبير : ٢ / ١٢٠ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم : ١ / ٦٤ .

قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ﴾، وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال عن مدى ارتباط فعل الشرط بهذا الأمر (فاتقوا) فأي علاقة في اتقاء النار بانتفاء إتيانهم بسورة من القرآن؟ أجاب الزمخشري عن هذا السؤال مبيناً العلاقة بينهما في قوله: "إنهم إذا لم يأتوا بها، وتبين لهم عجزهم عن المعارضة صحَّ عندهم صدق رسول الله ﷺ، وإذا صحَّ عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا استوجبوا العقاب بالنار، فقيل لهم: إن استبنتم العجز فاتركوا العناد، فوضع ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ موضعه؛ لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث إنه من نتائجه، لأن من اتقى النار ترك المعاندة، ونظيره أن يقول الملك لحشمه: إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي، يريد فأطيعوني واتبعوا أمري، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط، وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة، وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن، وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه»⁽¹⁾، ومن هنا يتبين مدى الارتباط الوثيق بين فعل الشرط وجوابه، يتضح ذلك حين نعلم أن الاتقاء كان معلَّقاً بفعله، وهو عدم الإتيان بمثل سورة من القرآن، وقد أوضح التعبير القرآني هذا المعنى بطريق الشرط بما حوى من فعل وجزاء، فقد دلَّ دلالة واضحة صريحة على أن إعراضهم عن القرآن وكفرهم به وارتيابهم فيه سبب لهلاكهم، وورودهم موارد العذاب في الدنيا والآخرة.

جاءت لفظة (النار) معرفة، والألف واللام فيها للعهد، فهو ـ سبحانه ـ يُحذِّرهم ويأمرهم باتقاء النار المعهودة لديهم والمعروفة عندهم، إذ قد تكرر ذكرها في القرآن، وقرعت أسماعهم كثيراً.

---

(١) الكشاف: ١ / ٢٥٠.

ثم وصف ـ سبحانه ـ النار تنفيراً منها وتحذيراً بقوله: ﴿ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ وتكمن بلاغة هذا الوصف أن فيه «تعظيماً لشأن جهنم، وتنبيهاً على شدة وقودها؛ ليقع ذلك من النفوس أشد موقع، ويحصل به من التخويف ما لايحصل بغيره»⁽١⁾، كما أن فيه مزيد هول، وفظاعة له؛ ببيانه أن وقود هذه النار هم الناس والحجارة.

جاء وصف النار هنا بطريق الموصول في قوله: ﴿ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، ومن المعلوم أن صلة الموصول لا بد أن تكون أمراً معلوماً للمخاطب، فكيف علم أولئك الأقوام المخاطبون بهذه الآية أن تلك النار وقودها الناس والحجارة؟ جاء وصف النار بطريق الموصول؛ لأن هذه النار أصبحت معلومة لديهم، فهم يعلمون أن هناك بعثاً بعد الموت يتم فيه الحساب، وأن بعد هذا الحساب جنة أو ناراً، فهم يعلمون هذا وإن أنكروه وكفروا به، فقد علموا ذلك من أهل الكتاب، ومما سمعوه من الآيات التي تُتلى عليهم⁽٢⁾، وتكمن بلاغة التعبير بالموصول أن فيه إشارة بأن ما أنكره هؤلاء القوم أكبر من أن يُنكر، وأشهر من أن يُشهر، فقد تواترت الأخبار والأنباء على ذلك، فهم ينكرون أمراً معلوماً محققاً، فيكون هذا من تنزيل الجاهل منزلة العالم، تنبيهاً على أن هذا الأمر لا ينكره أحد ولا يجهله ⁽٣⁾.

ولا يخفى ما في لفظة ﴿ٱلنَّاسُ﴾ من عموم إلاّ أن المراد بها الخصوص، فيكون في هذه اللفظة مجاز مرسل بعلاقة الكلية، فقد أُطلقت هذه اللفظة وأُريد بها من

---

(١) البحر المحيط: ١/٢٥١.

(٢) انظر: الكشاف: ١/ ٢٥٠.

(٣) انظر: نظم الدرر: ١/١٨٩.

قضى الله عليه بدخولها ؛ بسبب كفره ، وإعراضه عن ربه ، وتكمن بلاغة هذا المجاز أن في هذا العموم والإطلاق إدخال الروع في نفوس الناس كلهم ؛ ليكونوا على حذر منها ، وليأخذوا في أسباب النجاة منها ، والهروب من الأعمال التي تقربهم إليها .

وقد عظَّم ـ سبحانه ـ أمر هذه النار حين ذكر أن حطبها ووقودها الكافرون وأصنامهم ، وقد يقول قائل : لِمَ قُرن الناس بالحجارة ، وجُعلت الحجارة معهم وقوداً؟ أجاب عن هذا السؤال الزمخشري في قوله :«بأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا ، حيث نحتوها أصناماً ، وجعلوها لله أنداداً ، وعبدوها من دونه ، كما قال – تعالى – : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] ، فهذه الآية مفسِّرة لما نحن فيه ، فقوله : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ في معنى ﴿ ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ ، ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستنفعون بهم ، ويستدفعون المضار عن أنفسهم جعلها الله عذابهم ، فقرنهم بها محماة في نار جهنم ، إبلاغاً في إيلامهم ، وإغراقاً في تحيرهم»⁽¹⁾ .

والمتأمل لهذه الآية يجد تقديم (الناس) على (الحجارة) في الإخبار بأنهم وقود النار ، ولهذا التقديم سرٌّ وغرض جاءت الآية به ، وقد أوضح سرَّ هذا التقديم أبوحيان الأندلسي قائلاً : «وقُدم الناس على الحجارة ؛ لأنهم العقلاء الذين يدركون الآلام ، ولكونهم أكثر إيقاداً للنار من الأحجار لما فيهم من الجلود واللحوم والشحوم والعظام ، ولأن ذلك أعظم في التخويف ؛ فإنك إذا رأيت إنساناً يُحرَّق اقشعر بدنك ، وطاش لُبُّك ، بخلاف الحجر»⁽²⁾ .

---

(١) الكشاف : ١ / ٢٥٢

(٢) البحر المحيط : ١ / ٢٥١ .

ثم ختم ـ سبحانه ـ هذه الآية مبيناً لمن أُعدت هذه النار له في الآخرة في قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾، وقد فُصلت هذه الجملة عن التي قبلها؛ وذلك أن بين الجملتين شبه كمال الاتصال، فقد جاءت الجملة جواباً لسؤال ناشئ من الجملة الأولى، وذلك أنه ـ سبحانه ـ لما وصف في الجملة الأولى النار بأن وقودها الناس والحجارة، فكأن سائلاً يقول: لمن أُعدت هذه النار؟ فجاءت هذه الجملة جواباً عن ذلك السؤال، مبينة أن النار قد هُيئت للكافرين، وجُعلت عدة لهم ومقاماً أبداً لعذابهم، عياذاً بالله منها.

وفي هذه الآية ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ دليل ـ كما يذكر الشيخ السعدي ـ لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان، خلافاً للمعتزلة، وفيها ـ أيضاً ـ أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر، لا يُخلدون في النار؛ لأنه قال: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾، فلو كان عصاة الموحدين يُخلدون فيها لم تكن معدَّة للكافرين، خلافاً للخوارج والمعتزلة (١).

وقد أسند الفعل ﴿أُعِدَّتۡ﴾ لِما لم يُسمَّ فاعله؛ وقد ذكر البقاعي أن الغرض من ذلك: الجهل بالفاعل؛ وذلك أن المعذَّب إذا جهل فاعل هذا العذاب كان أنكأ (٢)، وليس الأمر كما ذكر؛ وذلك أن هذا الفعل وإن لم يُذكر فاعله إلا أنه معلوم ومعروف، وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فهو الذي عذَّبهم، وأمر بتعذيبهم، بل إن مجيء الفعل بهذه الطريقة؛ للعلم بالفاعل أولاً، ولأن في حذف الفاعل في هذا المقام زيادة احتقار لهؤلاء المعذَّبين، وازدراء بهم،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: ١ / ٤٥ .

(٢) انظر: نظم الدرر: ١ / ١٨٩ .

وبحالهم الذي صاروا إليه ، كما أن في حذف الفاعل هنا تنزيهاً له ـ سبحانه وتعالى ـ أن يُذكر في هذا السياق ، وأن يُقرن اسمه مع هؤلاء الكافرين ، والله أعلم .

وفي لفظة ﴿ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ إظهار في مقام الإضمار ؛ وذلك لغرض ذمهم بوصمهم بالكفر ، ونعتهم به ، كما أن فيه تعليلاً لدخولهم النار ، فقد جاء الإظهار دلالة على أنهم استحقوا هذا العذاب جزاء أعمالهم ، وما اقترفوه من الكفر ، وشتى المعاصي والآثام(١) .

---

(١) انظر : تسيير الكريم الرحمن : ١ / ٤٥ .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

[١] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير، بيروت، ط الثانية: ١٤١٤ هـ.

[٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٣] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان الصالحي، دار سوزلر القاهرة، ط الثانية: ١٤١٤ هـ.

[٤] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية بيانية، للدكتورة عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط: الثانية.

[٥] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: التاسعة: ١٣٩٣هـ.

[٦] الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى: ١٤٠٩هـ.

[٧] إملاء ما منَّ به الرحمن في وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة.

[٨] البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود.زكريا عبدالمجيد النوني، ود. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى: ١٤١٣هـ.

[٩] البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

[١٠] البرهان في متشابه القرآن، لمحمود بن حمزة الكرماني، قدم له وراجعه على أصوله، وقوَّم نصوصه أحمد عز الدين عبدالله الخلف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط: الأولى : ١٤١١هـ .

[١١] بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق : محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط: الرابعة، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .

[١٢] البيان في إعجاز القرآن، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار عمان، الأردن، ط: الثالثة : ١٤١٣هـ .

[١٣] التحرير والتنوير، للشيخ محمد بن طاهر بن عاشور .

[١٤] التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، دار الشروق، ط السادسة : ١٤٠٠ هـ.

[١٥] تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين ابن كثير، قدم له عبدالقادر الأرناؤوط، دار السلام الرياض، ط الأولى : ١٤١٣ هـ .

[١٦] التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة .

[١٧] تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤ هـ .

[١٨] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تقديم: محمد النجار، تصحيح : محمد البسام ، دار المدني، بجدة، ١٤٠٨ هـ .

[١٩] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثالثة.

[٢٠] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد القرطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى: ١٤١٨ هـ.

[٢١] الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى: ١٤١٣ هـ.

[٢٢] حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، دار الطباعة العامرة الاستانة، ١٢٨٦هـ.

[٢٣] دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، د. المحمدي عبدالعزيز الحناوي، دار الطباعة المحمدية، ط: الأولى: ١٤٠٤هـ.

[٢٤] شرح المفصل، لابن يعيش النحوي، مكتبة المتنبي في القاهرة.

[٢٥] الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق على محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة.

[٢٦] صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول تركيا.

[٢٧] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٢ هـ.

[٢٨] الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة عبدالصبور شاهين، ط: الثالثة: ١٤٠٣ هـ.

[٢٩] في ظلال القرآن ، سيد قطب : دار العلم للطباعة والنشر جدة ، ط : الثانية عشرة : ١٤٠٦هـ.

[٣٠] الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٢هـ .

[٣١] كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٨هـ.

[٣٢] مباحث في علوم القرآن ، د.مناع القطان ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط : الثامنة عشرة : ١٤١٢هـ.

[٣٣] معالم التنزيل ، للبغوي ، إعداد وتحقيق : خالد عبدالرحمن العك و مروان سوار ، دار المعرفة بيروت ، ط : الثانية : ١٤٠٧ هـ .

[٣٤] معاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق إبراهيم الزجاج ، تحقيق : د. عبدالجليل عبده شلبي ، دار الحديث : القاهرة ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .

[٣٥] معترك الأقران في إعجاز القرآن ، للسوطي ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨هـ .

[٣٦] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ، ط : الثانية : ١٤١٣هـ .

الدوريات والصحف :

[١] مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية ، العدد الثالث عشر ، ١٤١٣هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقدمة ٥
بلاغة القرآن الكريم وإعجازه ٩
التحدي عادة مألوفة لدى العرب ١٥
مراتب التحدي ونزول آياتها ١٦
القدر المعجز من القرآن ٢١
إيحاء آيات التحدي ودلالاتها ٢٢
دلالة لفظة ﴿ مُفۡتَرَيَٰتٍ ﴾ في آيات التحدي ٢٣
دلالة الشرط في قوله : ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ٢٥
مكانة العرب البيانية وقت تنزل القرآن الكريم ٢٧
القرآن يتحدى العرب أن يأتوا بمثل القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. ٢٨
امتداد التحدي بعد الهجرة من مكة إلى المدينة.................. ٢٩
وقفة بلاغية لآية البقرة المتحدى بها ٣١
السرُّ البلاغي في التعبير عن ريب المشركين في القرآن بأداة الشرط (إن).................. ٣١
دلالة حرف الجر (في) وبلاغته في قوله : ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ ﴾... ٣٢
بلاغة الالتفات وجمالياته في قوله : ﴿ مِّمَّا نَزَّلۡنَا ﴾ ٣٤

الموضوع **الصفحة**

الحكمة في كون القرآن سوراً ٣٥
دلالة لفظة (مثله) في آيات التحدي ٣٥
الأسرار البلاغية للاعتراض في قوله: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ ٤٢
السرُّ البلاغي في تقديم الناس على الحجارة في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ ٤٦
الحكمة البلاغية في إسناد الفعل ﴿أُعِدَّتۡ﴾ لِما لم يُسم فاعله ٤٧
فهرس المصادر والمراجع ٤٩-٥٢
فهرس الموضوعات ٥٣